الإهداء

إلى العلماء الأوفياء ...

إلى والدتى وزوجتى وأولادى

مُقَدِّمَة

مما لا شك فيه أن دراسة الفكر الفلسفى فى العصر الوسيط يعتبر من الدراسات الهامة، حيث يُعَد العصر الوسيط حلقة من حلقات الفكر الإنسانى، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالفكر السابق عليه من حيث التأثر واللاحق به من حيث التأثير، وأيضًا التأثير المتبادل بين تيارات الفكر الرئيسية إبان ذلك العصر.

وعلى الرغم مما قيل فى العصر الوسيط من أنه كان عصر جهل وظلام فى أوروبا، إلا أن الكشف عن الفكر الأوروبى فى ذلك الوقت يبين أن هذا الرأى ما هو إلا تحاملاً عليه. لأن الفكر آن ذاك كان له جوانب إيجابية كثيرة تعتبر الإرهاصات الأولى التى ساعدت عصر النهضة على البزوغ والظهور مما كان له تأثيرًا كبيرًا على الفكر الأوروبى فى العصر الحديث والمعاصر.

والسبب فى التحامل على العصر الوسيط أنه كان يتسم بالفلسفة المدرسية حيث كانت تُعلَّم وتُدوَّن بلغة لاتينية ركيكة، كما أنها كانت تستخدم بإسراف القياس والمناقشة اللفظية، وتكتفى بمعالجة مسائل الدين فقط دون الاهتمام بدراسة المشكلات الفلسفية الأخرى التى عالجها الفكر اليونانى القديم، ومن جانب آخر كان الفكر فى ذلك العصر يخضع لسلطة آباء الكنيسة.

أما المدافعون عن العصر الوسيط يحاولون تقديم الأعذار والأسباب، حيث كانت الغزوات والحروب التى وقعت فى أوروبا هى السبب فى انتشار الجهل والفقر، ومن هذه الأسباب أيضًا الفتوحات الإسلامية لأنها حاصرت شعوب البحر المتوسط فعطلت تجارة أوروبا مع الشرق واضطرتها للانكماش على نفسها والاقتصار على الزراعة دون التبادل التجارى والثقافى.

وهذه الدراسة هى محاولة تلمس بعض جوانب الازدهار الفكرى والحضارة العقلية فى العصر الوسيط. وأيضًا تبيان الجوانب السلبية لهذا الفكر، وإظهار جهد

مفكرى هذا العصر، باعتبار أن الحضارة الحديثة والمعاصرة منحدرة عنه، على الرغم من أن ما كانت تملكه من الوسائل المادية العلمية كان ضئيلاً جدًا، وبالتالى كان التقدم متدرجًا، فلا يمكن تفسير مذاهب فكرية حديثة وفهم مصطلحاتها بغير الرجوع إلى المذاهب المدرسية.

والحقيقة أنه لا يمكن أن نقيم فصلاً متعسفًا بين العصور والأزمنة، فكل زمن حاضر متصل بزمن ماض، وكل زمن آت فهو أيضًا متصل بالزمن الحاضر، ولهذا فغير صحيح أن نغفل هذه الفترة الهامة من فترات التاريخ الفلسفى، والتجارب الإنسانية شهدت بأن طبيعة الفكر الإنسانى لا تنشأ من فراغ ولا تنطلق من طفرات فكرية منفصلة، إنما الفكر الإنسانى يتسم بطبيعة متصلة تلتحم أجزاؤها بتسلسل يمتد جذوره من الماضى إلى الحاضر ولا يتناسى فى ذلك حقبة زمنية معينة ولا فترة زمنية محدودة فهو يستمد أصوله من الأول ويطبع على اللاحق آثاره.

وفى هذا البحث تتضح الملامح الرئيسية للفكر الفلسفى الأوروبى وذلك عن طريق دراسة نشأة الفلسفة المسيحية، وكيفية التوفيق بين الفلسفة والدين، وتبيان المذاهب والنظريات الفلسفية المعبرة عن طبيعة الفكر الفلسفى المسيحى والأدوار التى مرت على الفلسفة المسيحية، وأيضًا استعراض آراء فلاسفة ذلك العصر والسابقين عليهم باعتبارهم فى زمرة مفكرى المسيحية فنستعرض عصر الآباء فى القرن الرابع الميلادى، وشخصيات الفترة اللاحقة وهى ما بين الخامس والتاسع الميلادى، ومشكلة الكليات بين المنطق واللاهوت فى القرن الحادى عشر، وفترة الترجمة والشرح والتوفيق فى القرن الثانى عشر، وعهد الازدهار الثقافى فى القرن الثالث عشر، وخريف العصر الوسيط فى القرن الرابع عشر، وذلك بهدف تبيان معالم الفكر الفلسفى الأوروبى فى العصر الوسيط كحقبة زمنية ممهدة لعصر النهضة والعصر الحديث.

والله ولى التوفيق

د. أشرف حافظ

الإسكندرية فى 20/8/ 2002